Sri Lankan Journal of Arabic and Islamic Studies
Published by Faculty of Islamic Studies and Arabic Language
Volume 9 Issue I, June 2026
E-ISSN: 2550 – 3014, P. 82 – 100
DOI: https://doi-ds.org/doilink/03.2023-55683162/6.1-1

خصائص فنية في بعض المراثي النثريّة في مدينة إلورن: دراسة تحليليّة أدبيّة

(ARTISTIC FEATURES IN THE SELECTED ELEGIAC PROSE IN ILORIN: ANALYTICAL STUDY)

*[1]ADEKILEKUN AZEEZ LATEEF, [2]ABDULWAHID JUBRIL AL-FULANY

[1]Department of Arabic and Transnational studies, University of Ilorin
[2]Muhammad Kamaldeen University, Ilorin.
* adekilekun.al@unilorin.edu.ng

Abstract: *This research examines the prose elegies composed in Ilorin City, aiming to explore their characteristics and analyze the literary style employed in them. The study also seeks to highlight the role these elegies play in expressing feelings of grief and sorrow, focusing on how they portray the deceased's personality, highlighting their virtues, and reflecting their social, scientific, and religious impact. Panageric prose in Ilorin emirate has existed in the works of Ilorin scholars since the beginning of Arabic writing in the Emirate. The study has not gained a proper critical study in the field of academic. The research aims to study the characteristics of prose elegies, identifying elements that distinguish them, such as mourning the deceased, reminding the living of the afterlife, and recalling the deceased's contributions in the fields of science, religion, and society. The study also focuses on analyzing the literary style of the elegy under consideration and uncovering the literary creativity expressed in the writer's portrayal of their emotions. The authors employ a prose style characterized by clarity and fluency, effectively conveying feelings of grief with sincerity and strong emotion. The writer utilizes various literary techniques that combine artistic beauty with psychological impact on the reader. The author also adheres to Islamic ethical standards in their writing, using appropriate and impactful vocabulary that aligns with the subject matter, while ensuring consistency between ideas and emotions. The Methodologies used in the study are historical and analytical.The researchers conclude that prose elegies in Ilorin represent a powerful form of literary expression, reflecting the significant impact of the deceased on the community. The study of the selected elegy demonstrates the writers' ability in the city to express their emotions creatively, which indicates a high quality of literary writing and adherence to Islamic standards, while emphasizing the importance of using proper vocabulary in linguistic contexts.*

Keyword:*. Prose, Elegy, Artistic, Analysis, Ilorin.*

ملخص البحث

تعتبر المرثية من أهم الانتاجات الأدبية في مدينة إلورن، وقد كتب عنها كثير من العلماء عند فقد عظيم من عظماء المدينة وعالم من علمائها. ومع كثرة المراثي في الإمارة لم يعتن الدارسون بدراستها دراسة أدبية نقدية بما فيها من خصائص فنية تستدعي انتباه المتذوق الأدبي. يتناول هذا البحث المراثي النثرية التي نظمت في مدينة إلورن، ويهدف إلى استكشاف خصائصها وتحليل الأسلوب الأدبي المستخدم فيها. كما يسعى إلى تسليط الضوء على الدور الذي تلعبه هذه المراثي في التعبير عن مشاعر الحزن والأسى، من خلال تصوير شخصية المتوفّى، وإبراز فضائله، وتجلية أثره الاجتماعي والعلمي والديني. ويهدف البحث إلى دراسة السمات المتميّزة للمراثي النثرية، وتحديد العناصر التي تميزها، مثل رثاء المتوفّى، وتذكير الأحياء بالآخرة، واستحضار إسهامات المتوفّى في مجالات العلم والدين والمجتمع.

Submitted: 02 January, 2026 Accepted: 23 June, 2026 Published: 08 September, 2026

كما يركّز البحث على تحليل الأسلوب الأدبي في المرثية المدروسة، والكشف عن الإبداع الأدبي المتمثل في تصوير الكاتب لمشاعره. ويتميّز أسلوب المؤلف بالنثر الواضح والسلس، حيث يعبّرون عن مشاعر الحزن بصدق وانفعال قوي. ويستخدم الكاتب أساليب أدبية متنوعة تجمع بين الجمال الفني والأثر النفسي في القارئ، كما يلتزم بالمعايير الأخلاقية الإسلامية في كتابته، مستخدماً مفردات مناسبة وذات تأثير، تتماشى مع طبيعة الموضوع، مع المحافظة على الانسجام بين الأفكار والمشاعر. وتعتمد منهجية الدراسة على المنهجين التاريخي والتحليلي. وقد خلص الباحثون إلى أن المراثي النثرية في مدينة إلورن تمثل شكلاً قوياً من أشكال التعبير الأدبي، وتعكس الأثر الكبير للمتوفّى في المجتمع. وتُظهر دراسة المرثية المختارة قدرة كتّاب المدينة على التعبير الإبداعي عن مشاعرهم، مما يدل على جودة الكتابة الأدبية والتزامها بالمعايير الإسلامية، مع التأكيد على أهمية استخدام المفردات المناسبة في السياقات اللغوية. توصّل الباحث خلال بحثه إلى وجود مراث نثرية قيلت في مدينة إلورن، وإن كانت لم تكن كثيرة كما كانت المراثي الشعرية في المدينة، ويرى قدرة الأدباء على قول وكتابة المراثي النثرية في إلورن، الأمر الذي يدلّ عليه المراثي المعثور عليها، والمرثية المختارة منها للدراسة، وأن المرثيتين المدروستين تنبئان عن شخصية المرثي العلمية، والأدوار التي قام بها طيلة حياته للعلم والدين والمجتمع، وتكشف عما بين الراثي والمرثي من العلاقة التي أدّت بالراثي إلى التعبير عن حالاته النفسية نحو الفقيد. توصل الباحث أيضا إلى دلالة الخصائص الإبداعية التي اكتشفها في المرثية المختارة على مقدرة الكتاب الأدباء بمدينة إلورن على إثارة العواطف، وأخذ القلوب، وتحريك الأبدان، بالتعبير عن شعوراتهم الوجدانية واتصافهم بالجودة والروعة في أعمالهم الرثائية النثرية، الأمر الذي أظهر هذا الجانب للباحث ما عثر عليه في كاتب المرثية المدروسة بالنسبة إلى الاعتماد على المعايير التي تكسب العمل الأدبي والإنتاج العلمي جمالا إبداعيّا وقبولا تذوّقيّا. يوصي الباحثان الدارسين بأن يعتنوا بالمراثي النثرية في مدينة إلورن بصفة خاصة ونيجيريا بصفة عامة عن طريق النظر في النواحي الأخرى التي تستحق الدراسة.

المقدمة

تعتبر المرثية من أقدم أداة يستعملها الأدباء لإبراز إحساساتهم العاطفية، والتعبير عن وجدانهم الحزني والتأسفي، والتفجعي بفقد عزيز لديهم، والإشادة بما يتصف به من الشخصية المتميّزة، والإنسانية النيّرة النافعة، وتسلية النفوس، والدعوة إلى الزهد عن الدنيا، والتفكر في الموت وما وراءه والاستعداد له، والعمل للآخرة، إلى جانب ما يتعلق بها من إثارة العقول، وبعث المشاعر، وتحريك القلوب، نتيجة ما لامفرّ منه للخلق عامة وللجنس الإنساني خاصة، مما تجري عليه الحياة من النقص من الأنفس حينا تلو آخر منذ أوجد الله الدنيا وما فيها، ويعتمد كُتّاب المراثي على الشعر في كتابة مراثيهم في الكثرة الكاثرة، لميول القلوب إلى الشعر قرضا وسمعا وقراءة وتذوقا، بخلاف النثر الذي قلّما يسجل به الأدباء خواطرهم الرثائية، ويظهرون به شعورهم التألّمي تجاه فقيدهم، لقلة الميل إلى النثر الموجود في أوساط الناس من المتنجين المراثي والمتذوّقين لها بمدينة إلورن.

هدف البحث:

تحاول هذه الورقة الكشف عن بعض المراثي النثرية التي قيلت في مدينة إلورن، لرغبة الباحث المتواضع الشديدة في التعرّف على الإنتاجات الرثائية النثرية في إلورن، واكتشاف مواطن الجودة والرونق الإبداعي لتلك المراثي، ومعرفة العوامل المؤدّية إلى تلك المراثي من حيث النزعة والاتجاه، وذلك أن ميول الناس (الكُتّاب) إلى قول الرثاء النثري في إلورن لم تكن كثيرة كما كانت ميولهم إلى الرثاء الشعري، الأمر الذي يخفي المقدرة الإنتاجية الرثاءئية النثرية، وتهدف الورقة إلى التعرّف على مدى الوسع الإبداعي لكتاب المراثي النثرية في إلورن، وإظهار خصائص إبداعية تكمن في المراثي النثرية المعثور عليها في مدينة إلورن. ومدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا من الولايات الكبرى من ولايات نيجيريا. وكانت معروفة بالثقافة العربية والإسلامية حيث صدرت عنها أعمال كتبت عن الموضوعات التي تعالج قضايا إسلامية. وهي مدينة عريقة في تاريخ العلم والإسلام في نيجيريا.

منهج البحث:

ويستخدم الباحث في هذه الورقة المنهج الفني المتمثل في البحث عن خصائص إبداعية يعثر عليها الباحث ومعرفة مدى اكتمالها وجمالها في المراثي النثرية الإلورية المراد دراستها دراسة تحليلية أدبية، تتمحور الورقة على المحاور الآتية:

مفهوم المراثي النثرية وعناصرها:

تنطبق المراثي النثرية على أقوال لا تتقيد بوزن ولا قافية يقولها الناس وتعبيرات يظهرها أقلامهم للتنويه بالحزن والألم الذي حلّ بهم بفقد إنسان كان عزيزا لديهم، أو لمصيبة عظيمة تطرأ على قوم أو قبيلة أو بلد، ويبدو خلال ذلك ما يتحلّى به المرثيّ من صفات جميلة، ومكاسب حسنة، وأخلاق طيبة، عبر سلوكه الجيّد ومعاملته المستقيمة مع الناس، وآثاره الحميدة في حياة غيره، وفي المجتمع الذي عاش فيه، الأمر الذي يدعو إلى تأسّف الناس وحزنهم بغيابه عنهم. وتتضمّن تلك المراثي دعوة من بقوا بعده إلى الاقتداء به في المسارعة إلى الخيرات، وغرس ما يحسن به ذكرهم بعد الوفاة، والرغبة عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، والاستعداد للموت بأعمال صالحة تطيب بها العقبى. (إميل بديع: 1432هـ)

وتنبني عناصر المراثي على:

1 –البكاء والأسى والتألّم الشديد على موت المرثيّ، بحرارة العاطفة وصدقها التي يعبّر بها الراثي عن أحاسيسه ووجدانه نحو الفقيد، فيؤثّر في قلوب السامعين ويحرّك عقولهم فينفعلون معه حيث يشعرون بما يشعر به، سواء كانوا أقارب الفقيد أو أباعده، ممن عرفوه وممن لم يتعرّفوا عليه.

2 –ذكر ما يتّصف به الإنسان من الشخصية المتميّزة، والأخلاق الحسنة، والآثار الطيّبة، الأمر الذي يدفع الراثي إلى مدح المرثي بعد وفاته، وممّا قيل في هذا مرثية أبي تمام لمحمد ابن حُميد الطوسي حيث يمدحه في رثائه بعد رحيله:

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر ** فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

تُوفّيت الآمال بعـــد محمد ** وأصبح في شغل عن السَّفّر سّفْرُ

وما كان إلا مــال مَن قلّ ماله ** وذخرا لمن أمسى وليس له ذُخر

وما كان يدري مجتدى جود كفّه ** إذا ما استهلّت أنّه خُــلِق العسر

ويدعى هذا النوع من الرثاء تأبينا حيث يحفل بالثناء على الفقيد، وأحيانا يجمع الراثي بين مدح الفقيد وإظهار الحزن عليه في سطور واحدة.

3 –التعزية وهي تسلية نفس من أصابه الحزن والألم بفقدان عزيز له، وتصبيره على مصيبته، وحلق آمال خير وحسن رجاء في قلبه بعد وفاة ذويه، وقد تجتمع التعزية والبكاء على الفقيد ومدحه بذكر محاسنه، في مرثية واحدة أحيانا، وقد ينفصل عنصر عن عنصر آخر فيستقلّ كلّ منه في المرثية أحيانا أخرى، ومما يوجد في هذا الصدد قول أبي الطيّب المتنبّي يعزّي سيف الدولة في والدة سيف الدولة:

أسيف الدولة استنجد بصبر ** وكيف بمثل صـبرك للجبال

فأنت تعلّم الناس التعزّي ** وخوضَ الموت في الحرب الشِّجال

4 –إظهار الراثي ما يتّصل بالحياة من حيث الزوال وأنه لا قرار فيها لأحد من الخلق، وأن كل الكائنين يزولون إذا جاءت آجالهم، إلى جانب ذكر ما يتعلّق بالموت وما وراءه، من رحمة وعذاب، وحساب وعقاب، ومصير، فتشتمل هذه المرثية على الحكم التي تأتي بالتفكر العميق والنظر الدقيق في الفناء والبقاء وفيما يجري عليه الزمان من الحزن والفرح والضّحك والبكاء واليسر والعسر في حياة الناس ومن أمثلة هذه المرثية قول أبي ذُؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ** ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

والنفس راغـــبة إذا رغّبتها ** وإذا تــردّ إلى قليل تقنع

ويقول ابن الرومي في مرثية لأمه:

رأيت طـويل العمر مثل قصـيره ** إذا كان مغـــضاه إلى غاية تُؤَمْ

أتضعضه الأقـــات وهي بقاؤه ** وتغتاله الأقـــوات وهي له طُعَمْ

إذا ما رأيت الشـــيء يُبليه عمره ** ويفنيه أن يبقى فـــفي دائه عَقَمْ

ألا كــم أذلّ الــدهر من متعزّر ** وكم زَمّ من أنــف حَمِيٍّ وكم خَطَم

وكم صال بالأمــلاك وسط جنوده ** وأخنى على أهل الثبــوّات والحِكَمْ

وكم نعمة أذْوى، وكم غبـطة طوى ** وكم سـند أهوى وكـم عروة فصم

ثم أتى عقب ذلك بالبكاء على أمه والتأسّف عليها، والمرثية حينا تشمل هذه العناصر كلها، وحينا آخر تنطوى على عنصر وناحية دون أخرى، على أن المرثية لا تتخلّى في جميع الأوقات عن إظهار الإحساسات الحزينة، والبكاء على الفقيد والتألم على موته، وذكر محاسنه، والثناء عليه، وتعزية ذويه والدعوة إلى الزهد عن الدنيا، والاستعداد للموت، والعمل للآخرة. (حسين طه: غير مؤرخ)

وعلى هذا المنطلق يرتكز مفهوم المراثي وعناصرها التي قيلت نثرا في مدينة إلورن سواء من قِبل أبناءها أو من مستوطنيها، لأبنائها أو لغيرهم ممن تمّت بهم صلة بمدينة إلورن على حدّ سواء.

المحور الثاني: نموذج من المراثي النثرية في مدينة إلورن:

اختار الباحث مرثيتين من المراثي التي عثر عليها، فالمرثية الأولى قالها عبد العزيز عبد اللطيف أديكيليكن للأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي بعنوان: "عثمان عبد السلام الثقافي ملتقى علميا ومستشفى معرفيّا" والثانية مرثية عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي.

المرثية الأولى:

لا تزال ذكرى الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي زائرة النفوس لما بذله من جهد كبير وما لعبه من دور عظيم في نشر العلم والدين. وهو من العارفين النادرين الذين أفنوا حياتهم في خدمة اللغة العربية ورفع رايته، وهو يعتبر عربيا بين الأعاجم.

كان عالما يزيل الغطاء من وجه الأغوال في المسائل المعرفية الشديدة، وهو لغوي يخوض غمارها ويكشف عن حقائقها، أديب يسبح في بحره ويباري الغوّاص في الحصول على درر البحر الكامنة في أقصاه، شرعي بعيد غوره وسريع فوره في حل العويصة الدينية الحارة.

وهو من الذين عاشوا للعلم وماتوا له، كان ملتفى علميا ومستشفى معرفيا يزوره الأداني والأقاصي للأخذ من فيض مداركه، تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الكلام، دهليزي متقن للكتب القديمة يشرح دقائقها بكل سهولة وطمأنينة، أكاديمي معتدل في بيئته يعطي التدريس حقه والإدارة حظها والكتابة مستحقها. كان إداريا يعامل الناس بالبساطة والخبرة .

الثقافي: كاتبا شاعرا وناقدا:

للبروفيسور الثقافي مواهب متميزة وممتازة. كان مؤلفا كبيرا وشاعرا مطبوعا وناقدا موضوعيا. له مؤلفات عديدة جابت شهرتها الآفاق منها: منهاج الإنشاء، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن، الإسلام في غرب أفريقيا، التاريخ الإسلامي، كتاب الدلالة الصرفية، وله دواوين شعرية مطبوعة ومخطوطة، ومن أحسن ما قاله القصيدة التي شاعت صيتها في العالم كله المفتتحة بقوله:

لماذا تعلمنا وما فضل علمنا ** إذا لم يفدنا كل ما نتعلم

كان من النقدة الذين لا يميلهم التعصب عن الموضوعية ولا يزيلهم التحزّب عن الحقائق العلمية، يبدي رأيه ويصيب سكوته فكرة ونظره عبرة، يخيب جليسه وكان في كل حال مدرسا. رحم الله العالم الموسوعي الأديب الغالي. (ألوماتا عبد الغني: 2020م)

المحور الثالث: نبذة يسيرة عن صاحب المرثية المختارة

عبد العزيز عبد اللطيف أديكليكن من مواليد مدينة أيدى. ولد في أوائل الثمانينات، درس مبادئ العربية من والده قبل دخوله في في إحدى الحضانات بمدينة إلورن. كان جده الأكبر أول إمام جامع بمدينة أيدي. درس العربية ردحا من الزمان بمدرسة أخبار الدين بأبومسو قبل التحاقه بكلية شمس الدين للدراسات العربية والإسلامية، وقضى سنتين فيها ئاصلا على الشهادة الثانوية. حصل على الدبلوم في اللغة العربية والتربية الإسلامية بكلية زكريا الإسلامية التابعة لأحمد بلو زاريا عام 2003م قبل التحاقه بجامعة ولاية كوغي فحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام 2007م. تصدر لعملية التدريس منذ تخرجه من الجامعة، كان له كتاب يمارس فيه تدريس الكتب القديمة والدراسات العربية الحديثة. التحق بجامعة إلورن، وحصل فيها على الماجستير والدكتوراه عامي 2013م و2018م. كان موظفا مؤقتا بكلية التربية إلورن من عام 2016م إلى عام 2023م. بدأ عملية التدريس بقسم اللغة العربية جامعة إلورن عام 2016م، وله مقالات أكاديمية نشرت في شتى المجلات داخل نيجيريا وخارجها، وإنتاجات عربية أدبية منشورة ومخطوطة شعرا ونثرا. (أديكليكن عبد العزيز: 2024م)

المحور الرابع: دراسة تحليلية أدبية للمرثية المختارة وخصائصها الإبداعية:

عنوان المرثية: عثمان عبد السلام الثقافي ملتقى علميا ومستشفى معرفيا

مناسبة المرثية: كانت هذه المرثية نتيجة رحيل المرثي بغية المؤدّي بأقاربه وأباعده من بينهم الراثي إلى البكاء عليه والحزن من وفاته.

نصّ المرثية: سبق ذكرها في المحور الثاني.

الأفكار التي تتضمنها المرثية:

يظهر الراثي بقاء ذكرى الفقيد المرثي في النفوس لما قام به طيلة حياته من أدوار ملموسة، وأعمال جبّارة نصر بها العلم والدين، وكرّس بها حياته للغة العربية تعلّما وتعليما ونشرا، وثقافة وتثقيفا.

يثبت الراثي ما يتصف به مرثيه من الإقدام الجادّ على اقتحام العقبات لكشف الستار عمّا يستعصي على العقل إدراكه في حقول العلم والمعرفة، لإبراز العلوم وبذل الجدّية والحيوية للتفوق على معاصريه في إخراج لآلئ رائقة، في جوانب لغوية وأدبية وشرعية دينية.

يشير الراثي إلى عيش مرثيّه للعلم وتفانيه فيه وغيابه عن الناس على العلم، وأنه منار أدانيه وأباعده، وملتقاهم، وموضع يتعلق به آمالهم العلمية، فهو يجمع بين شخصية عديدة بارزة في نفع العوام والخواص وإفادة القدامى والمحدثين صغارا وكبارا، شبانا وشيوخا، أفرادا وجماعات، وتكتنفه في ذلك كله معاملته الطيّبة مع الناس.

يذكر الراثي تعدّد مواهب مرثيّه وتميّزها وموسوعيتها وموضوعيّتها وغزارتها وتوهجها، الأمر الذي أكسبه ذكرا حسنا، وشهرة عالية في الأرجاء المعمورة.

تحليل المرثية وإخراج خصائصها الإبداعية:

تشتمل هذه المرثية على خصائص إبداعية تضفي عليها رونقا وجمالا، وإيقاعا وجدانيا يتأثّر به سامعها وقارئها، خصائص تتمثل في النواحي الآتية:

الشكل: يندرج تحته اكتشاف الألفاظ والمعاني والأساليب التي عبّر بها الكاتب (الراثي) عمّا يشعر به نحو مرثيّه، ففي الألفاظ يرى الباحث أن هذه المرثية تتصف ألفاظها بالصحة والوضوح والسلاسة، حيث استطاع الراثي وضع ألفاظ مرثيته في موضعها الصحيح، بلا تعقيد لفظي ولا غرابة ولا تنافر، فمن الألفاظ التي استخدمها الراثي كلماته الآتية: "ملتقى علميا، ومستشفى معرفيا، وذكرى، وزائرة النفوس، وأفنوا حياتهم"، وكان عالما يزيل الغطاء، ودرر البحر الكامنة في أقصاه، وأديب يسبح في بحره، وشرعي بعيد غوره، وسريع فوره في حلّ العويصة الدينية الحارة، ومواهب متميزة وممتازة."

فهذه الألفاظ تتصف بالصحة والدقة والسلاسة والوضوح والتناسب اللفظي، حيث وضعها الكاتب في أماكنها المناسبة، يسهل للسامع أو القارئ إدراك معانيها فيصل مراد الراثي إليهما بلا غموض ولا تعقيد، إلى جانب استعماله كل لفظ مع ما يلائمه من لفظ آخر، فكلمة "ملتقى" يناسبها كلمة "علميا" وكلمة "مستشفى" يناسبها كلمة "معرفيا" في الاستعمال وكذلك كلمة "ذكرى" تتناسب مع كلمة "زائرة" واستطاعة الكاتب استعمال الألفاظ الصحيحة والسهلة والواضحة والدقيقة ووضعها في مواضعها المناسبة تعبّر عن مقدرته الإبداعية وتكسب ما يكتب جودة ووقوعا في الآذان، وتأثيرا في القلوب، نتيجة استخدام الألفاظ التي تناسب من يكتب عنه الأمر الذي يشير إلى ما فيها من الصدق الواقعي بدلالة الألفاظ على المعاني المرادة. (عبد الرحيم طه: 1999م)

المعنى: يعتبر المعنى معيارا مهمّا لجودة ما يكتبه الأديب وقوته وإثارته للمشاعر، من حيث الصحة والوضوح والوقاد بالنسبة إلى إتيان الكاتب بالمعنى الصحيح والواضح وإيفائه حقه في الإتيان به كاملا غير ناقص من الجانب الواقعي والمدلول اللغوي، ومطابقته للفظ واستعمال أسلوب يناسبه في وصول الكاتب إلى مقاصده الإبداعية وإيصالها إلى النفوس والأذهان بلا التباس ولا تعقيد. (أبو كريشة طه: 1990م)

فيدرك الباحث احتواء هذه المرثية على ظاهرة المعنى وما يتعلق به من الصحة والظهور والإتيان بالحقائق وإيرادها كاملة، وتناسب المعاني مع الألفاظ فيما أسنده الراثي إلى مرثيه، فيبدو هذا للباحث مثلا في قول الراثي "ملتقى علميا" و"مستشفى معرفيا" و"مؤلفا كبيرا" و"شاعرا مطبوعا" و"ناقدا موضوعيا" و"العالم الموسوعي" و"الأديب الغالي" فمعاني هذه الكلمات لا تتعقّد تعقّدًا مدلوليا، ولا لغويا، ولا تتعارض مع الجوانب الواقعة لحياة الفقيد (المرثيّ) ولا تنقص من شخصيته، ولا تتعب عقل القارئ والسامع قبل إدراك مراد الراثي، حيث ترمي كلّها إلى كيان المرثي إنسانا لا يحصل الناس عنده إلا على الخير ومطالبهم علما ودينا وسلوكا.

الأسلوب: الأسلوب وهو الطريقة التي يسير عليها الكاتب في التعبير عمّا يخطر بباله ويضع بها ما يريد إيصاله إلى النفس، والأسلوب هو الذي يظهر شخصية الكاتب ويميزه عن غيره، الأمر الذي ينبئ عن قوته وجودته الإبداعية أو عن ضعفه وقبحه الإبداعي، من حيث استخدام الألفاظ وإيراد المعاني واختيارها ووجود التلاءم بينهما لغرض معيّن يسعى وراء تحقيقه الكاتب، وتعتبر الصلة بين اللفظ والمعنى وطريقة الأداء في التأليف بينهما صلة لا يستغنى الكاتب الأديب عنها، لإبراز شخصيته في الإبداع. (عبد الرحيم طه: 1999م)

ويشترط وجود الصحة والدقة والوضوح والألفة والقوة في الأسلوب الذي يستخدمه الأديب لإظهار حالاته النفسية والتعبير عن عواطفه وانفعالاته بحيث لايخرج الألفاظ عن قواعد اللغة، ولا يستخدم الكلمات في غير محلّها الذي يقتضيه المعنى، إلى جانب تمكّن الكاتب من اختيار كلمات تناسب معاني يريد التعبير عنها، مع ظهور دلالات ألفاظه على المعاني المقصودة، والابتعاد عمّا لا تألفه النفوس، ولا تقترب منه العقول إلى جانب ذهاب

الكاتب مذهبا بعيدا عمّا يذهب إليه الناس في تصوير إحساساته، نتيجه حرارة عاطفته وصدقها، فيخرج السامع أول القارئ عما اعتاده إلى ما لا يعرفه نحو مرثيّه.8

فيتبيّن للباحث أسلوب صاحب هذه المرثية خلال قراءتها، وما يتّصف به من المعايير التي يشترط توفّرها في الأسلوب قبل الحكم له بالجودة والجمال الفني، والإصابة الإبداعية.

فالألفاظ التي استعملها الراثي صحيحة فصيحة واضحة مألوفة، ودقيقة، وقوية من حيث جريانها على المنوال اللغوي المطّرد، وتبادر فهمها إلى الأذهان، وسهولة معانيها في الأخذ، واستئناس الناس بألفاظها، ودلالات ألفاظها على المعاني المرادة، ومطابقتها للواقع في شخصية الفقيد، وإخراج القارئ أو السامع مما تعوّده عن إنسانية المرثيّ وإذهابه إلى حد بعيد يميّز المرثي عن غيره بالنسبة إلى الأوصاف الجميلة والآثار الطيبة التي رثى بها الفقيد مصوّرا بها حالاته النفسية وإحساساته الحزنية والتفجعية لغياب المرثيّ عنه .

ويظهر استعمال أسلوب الكاتب (الراثي) على هذه الشروط في جودته للباحث سيرَ الراثي على محاسن العمل الأدبي، وميوله عن عيوبه في الألفاظ والمعنى وطريقة أدائهما وتأليفهما. فأسلوبه أسلوب أدبيّ لا تنفر منه الأطباع، ولا تكرهه الأسماع. (السيد أحمد الهاشمي: 1999م)

المضمون: تتصف مضامين هذه المرثية بوضوح الأفكار التي أفصح بها الراثي عن مرثيّه ووضعها في قوالب تطابق ما يرمي إليه، من الحزن على فقيده والثناء عليه، ونتيجة ما بينه وبين المرثيّ من علاقة متينة، ترتكز على تلمذته على يديه، إلى جانب وجود الترابط والتنسيق والتسلسل بين الأفكار الواردة في المرثية بين فقراتها. من مطلعها إلى مقطعها الأمر الذي الراثي تجربته نحو مرثيّه إلى جانب استعماله دقة الأفكار وعمقها في الكشف عن شخصية مرثيّه. (عبد الله مقداد: 1997م)

فيظهر ذلك للباحث من العنوان الذي حملته المرثية حتى نهايتها، حيث دقّق الكاتب في وضع الفكرة التي عنون بها مرثيته ويبدو هذا في قوله: "عثمان عبد السلام الثقافي ملتقى علميا ومستشفى معرفيا" اطلاع القارئ والسامع على هذا العنوان يشتاق إلى معرفة ما يتضمنه السطور المبنيّ عليها العنوان، بغية الانفعال بما يحس به الراثي نحو الفقيد، حيث تؤدي فكرة كلّ فقرة ما يريده الكاتب تجاه الفقيد من إظهار شخصيته العلمية والتأثيرية.

العاطفة: هي الحالة التي تدفع الكاتب إلى التعبير عما يجيش في صدره، والتي تحرك عقله وتوقظ قلبه في إظهار ما يشعر به للقارئ أو السامع نحو شيء ما. فحزن المرء الأديب على عزيز له يحفزه على البكاء عليه ورثائه فينفعل معه القارئ أو السامع، وبالعاطفة يري الكاتب الناس ما لا يرونه أو يذهب بهم فيما يرونه إلى حدّ لم يبلغوه من قبل نحو من وما كتب عنه خلال تصويره له، ويعينه على ذلك مقدرته الإبداعية. (محمد هلال غنيمي: 1982م)

على أن الكاتب (الراثي) لا يتسم بالجودة في عاطفته إلا بصدقها وحرارتها وقوتها وعمقها، وثباتها واستمرارها وسموّها، بحيث يتحرك وجدانه، وينفعل عقله عن شيء صادق وحارّ لا يستطيع السكوت ولا إسكات قلمه عنه، ولا يوجد فيه تكلّف يجعل عمله الرثائي غير مؤثر في النفس ولا قارع للأذن. فموت عزيز للإنسان يخلق في قلبه الحزن ويدعو الأديب إلى كتابة أو قول رثاء حارّ له لا يخالف الجوانب الواقعية للمرثيّ إلى جانب وجود قوة العاطفة وعمقها المنبثقة والناتج عن نفس الراثي وطبيعته القوية العميقة من حيث الشعور الأمر الذي يدفعه إلى التعبير عن إحساساته المتفجّع عليها بصورة تؤثر في قلوب السامعين أو القارئين فيشاطره الناس ما يحسّ به من الحزن والألم، مع تسيطر عاطفته عليه واستقرارها فيه من مطلع مرثيته إلى نهايتها إلى جانب سمو عاطفته المتمثّل في علوّ مكانة المرثيّ لدى الراثي وعلوّ كعب الراثي في بعث مشاعر الناس وإثارة عقولهم وتحريك أبدانهم فيميلون إلى ما يميل إليه تجاه مرثيّه. (عبد الرحيم طه: 1999م)

فمن هذا المنطلق يدرك الباحث صدق عاطفة الكاتب لهذه المرثية وحرارتها وقوتها وعمقها وثباتها واستمرارها، بالنسبة إلى الحالة النفسيّة التي هو فيها حين فقدان المرثي الذي تربّى على يديه، من حيث الحزن والتأسّف عليه، الأمر الذي دفعه إلى التعبير عما يشعر به نحو فقيده نتيجة العلاقة التلميذية والأستاذية بينهما، فلم يتمكّن من إخفاء إحساساته، بغية انفعال القارئين أو السامعين بما ينفعل به، مستعينا على ذلك بقوة وعمق وعلوّ وثبات واستمرار عاطفته لمكانة مرثيّه العالية لديه، ولمقدرته الإبداعية العالية الثابتة العميقة المستقرّة على تصوير مرثيّه للناس تصويرا لا يعارض ولا يناقض الواقع، ويعيد صورة المرثي إلى القلوب في جميع جوانب حياته ومعاملته مع الناس ومجتمعه قبل وفاته فيراه الناس كأنه لم يزل حبّا بينهم، فيظهر هذا الجانب في كلمات استخدمها الراثي لرثاء فقيده (فقيد الأمة والإنسانية) مثل عبارته "ملتقى علميا" و"مستشفى معرفيا" و"لا تزال ذكرا الأستاذ الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي زائرة النفوس لما بذله من جهد كبير..." وعبارته "كان عالما يزيل الغطاء من وجه الأغوال في المسائل المعرفية الحارة..." وعبارته: "وهو من الذين عاشوا للعلم وماتوا له..." وقوله: "كان إداريا يعامل الناس بالبساطة والخبرة."

تكشف هذه العبارات وغيرها مما رثى الكاتب بها فقيده عن نوعية وسمات العاطفة التي دعته إلى كتابة هذه المرثية فيصبح قارئها أو سامعها منفعلا بماينفعل هو به.

الخيال: هو تمكن الأديب من تصوير الأشياء أو الأشخاص بصور تبهر العيون، وتنقاد النفوس لها، وتميل الآذان إليها، وهو القالب الذي يضع فيه الكاتب الأدبي ما يريد أن يصف به من وما يكتب عنه ويصوّر به عاطفته، ويوصل به مراده إلى القارئ أو السامع، وقوة الأديب أو ضعفه في تصوير عاطفته أمرٌ ينبني عليه تأثّر الناس بعمله الأدبي ورغبتهم فيه وانفعالهم الوجداني بما ينفعل به، أو عدم تأثرهم بعمله الإبداعي وميولهم عنه وخمود مشاعرهم

نحوه. ويأتي الخيال بصور كثيرة تتمثل في التشخيص وهو جعل الشيء الجامد متحرّكا الساكت ناطقا كإسناد صفة الإنسان إلى غيره من الكائنات، أو تجسيد ما لا جسد له، وإتيان شيء غير مرئي بصورة مرئيّة (شوقي ضيف: 1999م) أو إسناد ما يتصف به غير الإنسان من الخلق إلى الإنسان، ومنه المجازات والكنايات والاستعارات والتشبيهات. (محمد علي: 1989م)

فيرى الباحث أن كاتب هذه المرثية استعمل صورا من الخيال ليهيّج بها النفس ويحرّك بها العقل فيحسّان بما يشعر به، فيدركان ما حصل عليه تجاه مرثيّه، فيمكن ذكر تلك الصور في الكلمات الآتية التي استعان بها الراثي لتصوير حالاته النفسية: "ملتقى علميا" و"مستشفى معرفيا" صورة خيالية في عبارة الراثي "ملتقى علميا" حيث تتمثّل الصورة الخيالية فيها، إذ جعل الراثي مرثيّه مكان لقاء الناس للعلم، وهذه التصوير يعتبر من باب التشبيه البليغ، وتشبيه المحسوس بالمحسوس، فالكاتب شبّه مرثيّه بمكان يلتقي فيه الناس للعلم فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، وجعل المشبه مشاركا للمشبه به في صفاته ومفاد هذا التشبيه يرجع إلى تجمع الناس عند المرثي حين كان على قيد الحياة تجمعهم في مكان عهدوا التجمع فيه لنيل مطالب حياتهم، إلى جانب كيان المشبه شيئا يُرى كذلك. (عتيق عبد العزيز: غير مؤرخ)

و"مستشفى معرفيا" صورة خيالية تتمثل في الاستعارة التصريحية حيث استعار الراثي كلمة مستشفى (المشبه به) بذكر لفظه، وهو المستعار منه، لمرثيه (المشبه) وهو المستعار له، لإفادة القارئ أو السامع بما يتصف به الفقيد من إزالة ما يعانيه الناس من الجهل عنهم وإدراكهم ما يحتاجون إليه عنده من المعرفة، كما يزول عنهم ما يكابدونه من الأمراض في المستشفى، والجامع بين المستعار منه (المستشفى) وبين المستعار له (المرثي) هو العلاج بأنجع أدوية تتحسّن بها حال المرضى أي أن الناس يحصلون على أهدافهم المعرفية عند المرثي حصولهم على دواء أمراضهم الجسمية في المستشفى.

ويدرك الباحث صورة خيالية في عبارة الراثي، "لا تزال ذكرى عثمان عبد السلام الثقافي زائرة النفوس" تنطوي على أسلوب التشخيص في إسناد الراثي كلمة "زائرة" إلى كلمة "ذكرى" حيث جعل ذكرى شخصا كان من صفاته اللازمة له الزيارة، فكلمة ذكرى شيء ليس له يد ولا رجلٌ يمشي بها لزيارة النفوس في الحقيقة، ولكن الكاتب جعلها إنسانا له رجل يقوم بها للزيارة وهذا الوجه تشخيص يريد به الراثي إيقاع عبارته في النفس وإبلاغها إلى العقل بصورة أخّاذة وقّادة تتمثل في بقاء المرثي في النفوس وترداد ذكره في حياة الناس شخصية وتأثيرا. (شوقي ضيف: 1999م)

وعبارة الكاتب (الراثي) "...ورفع رايته" صورة خيالية تنبني على الكناية، ففي استعمال الكاتب كلمة "راية" لعلم اللغة العربية، يريد بذلك مظهر علم اللغة العربية، فعدل عن استعمال كلمة المظهر، وكنى عنه بكلمة

راية والجامع بين المكنّي عنه (المظهر) وبين المكني به (الراية) هو إدراك عيون الناس ما ينتسب إليه الراية إذا وجدتها من البلاد، كما تدرك العين والعقل ما ينتسب إليه الإنسان من ميادين العلم حيثما حلّ فهذه صورة خيالية كنائيّة للموصوف. (عبده أحمد عليان: 1985م)

ويدرك الباحث صورة خيالية تتمثل في تشبيه المعقول بالمعقول في عبارة الكاتب (الراثي): "كان عالما يزيل الغطاء من وجه الأغوال..." حيث شبّه ما يصعب إدراكه من المسائل العلمية بالأغوال التي لا يسهل لقاؤها، فالعلم يدرك بالعقل، والأغوال لا تُرى بل تُدرك بالعقل أي أن العين لا تدركها، ولكن يؤمن الإنسان بأنها موجودة عقليا، ومفاد هذه الصورة الخيالية يرجع إلى الصعوبة التي كانت في فهم العلم، كما كانت المشقة في رؤية الأغوال (محمد علي: 1989م) واستعمال الراثي كلمة "الحارة" لوصف المسائل المعرفية صورة خيالية تنطبق على الاستعارة التصريحية التبعية بالنسبة إلى ذكر المستعار منه وكونه مشتقا، فالكاتب (الراثي) استخدم لما يصعب إدراكه من المسائل المعرفية كلمة "الحارة" المشتقة من الحرارة، فالحرارة شيء يحسّ، والمسائل المعرفية شيء يدرك بالعقل، والجامع بينهما في هذا الجانب الاستعاري يتمثل في الصعوبة والتألم بالشيء، (عبده أحمد عليان: 1985م) ويظهر للباحث صورة خيالية في عبارة الراثي "أديب يسبح في بحره" فإسناد الكاتب إلى مرثيّه السباحة في بحر العلم يدلّ على التصاقه بالعلم والتصاق العلم به فأصبحا جزئين لا يتجزأ أحدهما عن الآخر، كما يلتصق السابح في البحر بمائه ويلتصق ماء البحر به واستعمال الراثي فعل المضارع في تلك العبارة "يسبح" دلالة على التجدّد والتكرّر والاستمرار الموجود عند مرثيّه تجاه العلم أي أنه لا يعمل وقتا من أوقاته إلا في العلم. (شوقي ضيف: 1965م).

وفي عبارة الكاتب (الراثي) "في الحصول على درر البحر" صورة خيالية تكمن في استعماله كلمة "درر" مريدا بها كل ما علت قيمته من منافع ميدان العلم التي يرغب فيها روّادها، فهذه استعارة تصريحية أصلية، حيث استعار الراثي لكل منافع ميدان العلم العالية كلمة "درر" فحذف المستعار له (منافع) وذكر المستعار منه (درر)، ومفاد هذه الاستعارة يرجع إلى علو القيمة بين المنافع العلمية وبين الدرر. (عتيق عبد العزيز: غير مؤرخ)

ومن الصور البيانية التي استخدمها الراثي الطباق وهو ذكر الشيء وضدّه، ويظهر هذا الباحث في كلمات الراثي الآتية: "... عاشوا للعلم وماتوا له"، و"...يزوره الأداني والأقاصي..." و"...نظم من الشعر أو نثر من الكلام"، فقد جمع الراثي بين الشيئين المتضادّين، العيش، والموت، في "عاشوا وماتوا"، والدنوّ والقصوّ في "الأداني والأقاصي"، و"الشعر والنثر". ليفيد القارئ أو السامع بإحاطة مرثيّه بنفع الناس جميعا من حياته إلى مماته في الفنّين المشهورين في العلم والأدب وهما الشعر والنثر. (محمد خليفة: 1987م)

المحور الخامس: الملاحظات العامة في المرثية المدروسة:

يرى الباحث أن المرثية المدروسة ترتكز على ثلاثة اتجاهات: الاتجاه العلمي، والاتجاه الديني، والاتجاه الاجتماعي بالنسبة إلى شخصية مرثيّه حين كان على قيد الحياة، فيما قام به من أدوار فعّالة ملموسة وجهود جبّارة، نحو العلم والدين والمجتمع.

ومنذ العصور الماضية حتى الوقت الراهن لا تخلو المراثي شعرية كانت أو نثرية عن الاتجاه الذي يبني عليه الكاتب مرثيته نحو الفقيد، وقد يكون اتجاه المراثي ذاتيا، أو علميا، أو دينيا، أو قوميا، أو شعبيا، أو حزبيّا، أو بلديا، أو دوليا، أو اجتماعيا، أو نسبيا، وتظهر تلك الاتجاهات كلّها في مرثية واحدة حينا. وقد تختصّ باتجاه أو اتجاهين، أو ثلاثة، حينا آخر، الأمر الذي يسير به المرثية على الوجدان الفردي حينا، أو على الوجدان الجماعي حينا آخر، أو عليهما. (عثمان محمد: 1984م).

فأيًّاما كان الاتجاه الرثائي يُطالب الراثي أن يسير على أنماط الكتابة الجيدة، وأن يستعين بمعايير تتصف بها مرثيته بالرونق والجمال الإبداعي. فيدرك الباحث أن كاتب المرثية المدروسة استطاع السير على تلك الأنماط، والاستعانة بالمقاييس التي وضعت لإنتاج الأعمال الأدبية، الأمر الذي أكسب مرثيته روعة فنية، وإثارة العقول، وتحريك المشاعر من مطلع مرثيته إلى مقطعها من حيث براعة الاستهلال، والاختتام، والالتزام بالآداب الإسلامية التي تولي الأعمال الإبداعية قبولا لدى القرّاء والسامعين، بالنسبة إلى افتتاح مرثيته بما يدلّ على ما يرمي إليه ويثير المشاعر إلى قراءتها والاستماع إليها، واختتامها بما لا تحتاج النفس إلى شيء بعده، وعدم الخروج عن حدود الأخلاق الإسلامية، ولا يعارض الآداب السلوكية.

على أن الباحث يرى خروج الكاتب (الراثي) عن الاستعمال الصحيح والصواب لكلمة "دور" فالكاتب كتب "...وما لعبه من دور عظيم..." وهذا استعمال خاطئ بدليل على أن فعل (لعب) لازم، وأنه لا يفيد معنى التمثيل المسرحي، والقيام بالعمل الاجتماعي، كما يفيد Play) الإنكليزي (فالاستعمال الصواب هو استعمال كلمة "دور" بكلمة القيام وما يشتق منها فيجدر بالكاتب (الراثي) أن يكتب "وما قام به من دور...". (محمد العدناني: 1984م)

المرثية الثانية:

تلك هي الشخصية العلمية المتميزة التي كانت تتردد أساميها على أفواه الكتاب الجادين المجدين، وتتصاعد ذكراها من هوامش الباحثين الهادفين المستنيرين، وتتكرر نفحاتها في ملتقيات العلماء الربانيين المخلصين، وتتبادل نفحات جمالها على ألسنة عشاق العلم وشداة المعرفة المتفائلين؛ لما فيها من الخصائص والمميزات التي لا ينالها من

الناس إلا من أحسن الله يجاياه في السر والعلن ثم هداى، شخصية كانت ثواني حياته أقل من دقائق أعماره العلمية، شخصية كنت أنا أسمع عنها وقرأت لها المقالات الأكاديمية الناضجة عبر الشبكة العنكبوتية، فلقد حسبتها من العرب الأقحاح لولا وجود اسم الأسرة (أبيكن) الإلورية بيت العلم والدين والدعوة، فمن هناك عزمت أنني سأتشرف يوما بقلمه السيال على إحدى إنتاجاتي العلمية مقرظا أو مقدما، إن استطعت إلى ذلك سبيلا، غير أنني للأسف الشديد منذ أكثر من عقد واحد تم اكتشافي للجواهر المكنونة في شخصيته الأكاديمية لم أظفر بمكالمته العطرة، ولم أحظ بمقابلته المرجوّة، ولم أستطعرؤيته الوضاحة، إلا عبر هذه الصورة المشرقة التي بين يدي القارئ! ها ها ها أنا لله وإنا إليه راجعون!

فهل هناك من يشاكس أو يقف ضد الأجل المقدور، فإنه أبدا لا معقب الحكم الله الدائم الباقي الحي القيوم، لكننا تعلمنا منه دروس الحياة وهي تكمن في أنك من أبطال العلم الذين أخلصوا لله المساعي في السر والعلانية، أولئك الذين لم تخالف مظاهرهم بواطنهم، بل تصدق أفعالهم أقوالهم، وكانت ذواتهم منطبقة على أشباحهم في السفر والحضر، يا سفير القلم، ورسول الحكم، وخبير النظم، وجليل القيم.

نعم، أصبحت وفاتك جرس الإنذار لمن في الساحة الأكاديمية أن يتحاشو العنصرية العمياء والتعصب القبلي الفاحش لإرساء البذور العلمية المثمرة، ولغرس القيم الإنسانية الصرفة، حتى يتسابق من جهلوهم من عرفوهم وعايشوهم في دعاء الخير لهم في الحياة وبعد الممات.

ماذا عسى أن يقال فيك يا من زواج المروءة والقيم الإنسانية في ظلال العلم والدين؟، ماذا عسى أن يقال فيك يا من علق على عرى الدعوة بالإخلاص والتواضع؟

عنوان الرثاء: عنون الكاتب هذه المرثية بها يسرع القارئ إلى ما تهنته "البروفيسور موسى مصطفى عبد السلام أبيكن في صفوف الخالدين" والمناسبة مذكورة في المرثية الأولى.

الأكفار التي تضمنتها المرثية: النص المعروض في هذه الدراسة مقتطفة من النص الأصلي. فكانت الفكرة التي بنيت عليها المرثية مختصرة في الثلاث:

الأولى: الحديث عن شخصية المرحوم الفذة وذكر مكانته بين العلماء في بلاد وفاته، يقول الكاتب: "تلك هي الشخصية العلمية المتميزة التي كانت تتردد أساميها على أفواه الكتاب الجادين المجيدين، وتتصاعد تدل هذه العبارات إلى تجلة المرحوم في الساحة المعرفية والأجواء الأكاديمية التي نالها بجهد علمي عظيم.

الثانية: إبداء الإعجاب المرحوم من خلال اطلاع الكاتب على أعماله، وإرادة الكاتب لنيل تقريظًا أو تقديمها لإحدى انتاجاته التي لم ينلها حتى وفاة المرحوم.

الثالثة: إظهار الحزن والكآبة لوفاة هذا العملاق الأكاديمي، وذلك عن طريق أساليب الرثاء المعروفة. يقول الكاتب: فهل هناك من يشاكس أو يقف ضد الأجل المقدور، فإنه أبدا لا معقب لحكم الله الدائم الباقي الحي القيوم، لكننا تعلمنا منه دروس الحياة وهي تكمن في أنك من أبطال العلم... إلى قوله: نعم، أصبحت وفاتك جرس الإنذار لمن في الساحة الأكاديمية أن يتحاشوا العنصرية العمياء والتعصب القبلي الفاحش لإرساء البور العلمية المثمرة". كلّ هذه تظهر مدى حزن الرّاثي في الفقيد.

الأسلوب: إن الطريقة التي عبّر الكاتب بها عن أفكاره ومشاعره أسلوب أدبي لأنها تتسم بالجمال، وأبرز خصائص الأسلوب الأدبي هو الجمال الذي يعود إلى القدرة في التعبير باستعمال الخيال ودقة التعبير في التصوير. (إبراهيم 2000). ومثل قوله: "لكنا تعلمنا منه دروس الحياة وهي تكمن في أنك من أبطال العلم" وإرادة الكاتب هنا بكلمة "الأبطال" ليست المعنى الحقيقي الذي يراد به بل عدل إلى الكلمة ليصوّر مدى غور الموصوف في العلم والمعرفة" وحرارة عاطفة الكاتب تلد خيالا بعيدًا يجعل الأسلوب أدبيًّا خالصًا.

المضمون: استهل الكاتب المرثية بالتعرّف على شخصية المرحوم عن طريق ذكر محاسنه ومكانته بين العلماء، وأفنى فقرتين واصفا ومادحًا لذلك العملاق. ثم مدى قدمًا إلى ذكر موهبته ومقدرته العلمية التي سجل بها اسمه في سجل العلماء المجتهدين والأدباء المنتجين.

دخل الكاتب في مضمون الرثاء فأظهر حزنه وحزن الجميع لما أصابهم من فقد عظيم من عظماء بلدته. يقول: إنك مصطفى بحقول الأخلاق الطيبة تختار منها ما يتناسب مع كل من عايشت بسلام وأمان، فهم جميعا عليك يثنون وعلى وفاتك يحزنون وعلى روحك الطاهرة يترحمون."

اختتمت المرثية بالدعاء للمرحوم بتوجه الكاتب إلى الراحل ويعفو عنه وعن المسلمين.

العاطفة: كانت عاطفة الكاتب في هذه المرثية أليمة. والعاطفة الأليمة هي التي تثير ألام الناس (شايب 2006).

كان الكاتب يصوّر ألامه وألام الآخرين، وذلك بأسلوب واضح ورائع. وقد ظهرت من خلال المرثية قوّة عاطفة الكاتب وحرارتها ثم صدقيتها التي استمرّت من بداية العمل إلى نهايتها. ولقد ساقته هذه العاطفة إلى تخيّلات تجعل القارئ متفاعلاً مع الكاتب في حزنه وألمه.

يقف ضد الأجل المقدور، فإنه لا معقّب لحكم الله الدائم الباقي الحي القيوم" كان الكاتب في هذا التسائل متحيّرًا ومتخيّلا في الإمكان لعودة الله ومشيئته. وهذا يدلّ على عاطفة الكاتب الحارة الصادقة القوية. ويبدو أيضا من خلال هذه المرثية مدى قوّة عاطفة الكاتب في توظيفه للعبارات الجذابة المصوغة بكلمات جارسة قوية. يقول

في وصف المرحوم "أصبحت وفاتك جرس الانذارلمن في الساحة الأكاديمية أن يتحاشوا العنصورية العمياء والتعصب القبلي الفاحش لإرساء البذور العلمية المثمرة ولغرس القيم الإنسانية الصرفة.

بالنظر في توظيف هذه الكلمات وترتيبها في مواضعها المناسبة يدرك المتلقي كيف كانت حرارة عاطفة الكاتب في حين المرثية.

الخيال: توجد في هذه المرثية صور أدبية تنبئ عن كيف استطاع الشاعر أن ينسج المرثية عبر عاطفة قوية حارة ولدت من خلالها تخيلات تجعل الصورة سريعة الإنطباع شديدة الرسوخ في نفس السامع، شديدة الفاعلية من حيث الإبهام المعتدل. (الفاخوري 2005)

كانت أخيلة الكاتب في هذه المرثية خالية من المبالغة، وهي أخيلة تتصف بالجدية التي تنم عن صدقية العاطفة. وعلى وجه مثال، قول الكاتب: "نعم أصبحت وفاتك جرس الإنذار لمن في الساحة الأكاديمية أن يتحاشوا العنصرية كانت الصورة التي أراد الكاتب أن ينقلها إلى نفس القارئ هي مدى عظمة الخسارة التي أصابت طلاب مفيد مدّرس متقن لا يتمنّاه أحد من أحباب العمل وهو شاب لا يزال في بكورة كهولته إلى جانب زهده من الحياة، وهو أكاديمي لا يشغله شيء سوى الحصيلة والإفادة به. وهذه الصورة "أصبحت وفاتك جرس الإنذار" نوع من التصوير البلاغي المعروف بالتجسيب حيث يحوّل الأديب المعنوية إلى صورة مادية ملموسة أو منحها صفة مادية لتوضيحها وتقريبها إلى ذهن القارئ. وفي مثل قوله: "يا سفير القلم، ورسول الحكم، وخبير النظم.

الخاتمة: خلاصة البحث:

أدرك الباحث خلال الجولة السابقة أن المراثي النثرية تُطلق على ما يقوله الأدباء أو يكتبونه بلا تقييد بوزن ولا قافية عن إنسان كان عزيزا لديهم غاب عنهم، للتعبير عن حالاتهم النفسية وإحساساتهم بالحزن والتفجع نحو فقيدهم، والتنويه بما له من المزايا والآثار العقلية والشخصية الإنسانية والاجتماعية.

وتبيّن للباحث ما يرتكز عليها المراثي من عناصر تتمحور على البكاء على الميت، وإظهار الحزن لفقده، وذكر محاسنه وتسلية نفوس ذويه وتصبيرهم، وترغيب الباقين عن الدنيا، وحثهم على ما يتعلق بالموت من الاستعداد له، والعمل للآخرة وما يأتي به الزمان إلى الناس مما لا مهرب منه لأحد، إلى جانب شمول المرثية هذه النواحي كلّها حينا، واختصاصها بناحية أو ناحيتين حينا آخر. وذكر الباحث نموذجا من المراثي النثرية المقولة في مدينة إلورن، وترجم عن حياة كاتبها، وقام بدراسة المرثية المختارة من حيث إظهار الأفكار الواردة فيها، واكتشاف ما فيها من خصائص إبداعية تضفي على المرثية جودة إنتاجية أدبية، وروعة إبداعية تنبئ عن مقدرة صاحبها على التعبير عن خلجات نفسه تجاه فقيده المرثي والإشادة بشخصيته.

وبنى الباحث إبراز ما أدركه من خصائص إبداعية في المرثية المختارة المدروسة على شكلها المندرج تحت ألفاظها ومعانيها، وأسلوبها، وعلى مضمونها المتمثل في الأفكار الواردة فيها، وعاطفتها وخيالها من حيث السهولة والوضوح والصحة والتأليف، والإصابة والقوة والعمق والحرارة والصدق والسمو والثبات والاستمرار في العاطفة، إلى جانب ما يتصف به المرثية من تصوير مؤثر في النفس وقارع للأذن مال إليه الراثي في رثائه، وذكر الباحث اتجاهات الكاتب (الراثي) في بكاء فقيده المنطبق على الناحية العلمية والدينية والاجتماعية، وأتى خلالها بما ظهر له من الملاحظات اكتشفها من مطلع المرثية المدروسة إلى مقطعها، من الاستهلال البارع والاختتام الجيّد، مع التزام الراثي بالآداب الإسلامية وعدم خروجه عن حدودها في مرثيته، إلى جانب ما ذكره الباحث من الاستعمال الذي صدر عن الراثي لكلمة لم يكن صوابا في الوضع اللغوي العربي المعاصر.

المراجع

أبو كريشة، طه (1411هـ-1990م)، في النقد الأدبي الحديث تاريخه وقضاياه، ص: 175-176.

ألوماتا، عبد الغني أديبايو ألبي. (ذو الحجة 1441هـ-أغسطس 2020م). البروفيسور عثمان عبد السلام الثقافي في ذاكرة المثقّفين. الرضا إلورن. ص 27-28 .

إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، (1432هـ). المعجم المفصّل في اللغة والأدب، المجلد الأول، ط1، باب مصطفوي، ستارة، ص: 663.

خليفة محمد محمد، نعناع عبد الحكيم حسن، (1987م)، مفتاح البلاغة، الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، الأزهر القاهرة، ص: 132-134.

شوقي ضيف، (1965م)، البلاغة تطوّر وتاريخ، ط7، دار المعارف، القاهرة، ص: 176 .

شوقي ضيف، (1999م)، في الأدب والنقد، دار المعارف، القاهرة، ص: 13-27.

طه حسين، أحمد أمين، عبد الوهاب عزام، محمد عوض محمد، (غير مؤرخ)، التوجيه الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ص: 171-176.

طه عبد الرحيم عبد البر، (1419هـ-1999م)، النقد الأدبي عند العرب أصوله ومناهجه، دار السعادة للطباعة، جامعة الأزهر، ص: 153-158.

عبد العزيز عتيق، (غير مؤرخ) في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية، ص: 176-177.

العدناني محمد، (1984م)، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ط1، مكتبة لبنان، لبنان–بيروت، إعادة طبع 1989م. ص: 605.

علي محمد حسن، (1409هـ–1989م)، أسرار البيان، الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، القاهرة، ص: 86–87.

عليان عبده أحمد هليل، (1405هـ–1985م)، المجاز اللغوي دراسة بلاغية تحليلية، ط1، دار الكتب، مؤسسة الوفاء للطباعة، القاهرة، ص: 204–225.

غنيمي محمد هلال، (1982م)، النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، ص: 58–60.

محمد عثمان علي، (1984م)، في أدب الإسلام عصر النبوة والراشدين وبني أمية، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، ص: 135–136–530.

مقداد عبد الله جبريل، (1417هـ–1997م)، أضواء على النقد الأدبي القديم، ط1، دار عمار للنشر، الأردن، ص: 101–116.

الهاشمي السيد أحمد، (1419هـ–1999م)، جواهر الأدب، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت–لبنان، ص: 14–18.

أديكليكن عزيز لطيف، ورقة يسيرة عن حياة الكاتب، (15–4–2024م).

إبراهيم شمس الدين، (2000م)، مرجع الطلاب في الإنشاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 30.

أحمد الشايب، (2006م)، أصول النقد الأدبي، ط10، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ص: 179.

خنا الفاخوري، (2005م)، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ص:16.

المراجع الأجنبيَّة

Karisha, A. (1990). *Fin-Naqidi Ababy al adeeth*: Tarikhuhu wa Qodayahu.

Alumimota, A.A. (2020). *Al Professor Uthman Absus-Salam Athaqofy fi Za'kiratil Muthaqofin*. Ar-ridoh.

Emile B.Y. (2021). *Mu'jam al-Mufassal fi al-lugha wa-al-Adab*. Bab Mustafawy Satara.

Khaleefat M.M. (1987). *Miftah al-Balagha*. Al Idaratul Markaziyyah lil Mahaid al-Azhariyya.

Shawqi D. (1965). *Al-Balagha: Tatawwurun wa Tarikhun*. Dar Al-Ma'arif.

Shawqi D. (1999). *Fil Adab Wan Naqd*. Dar Al-Ma'arif.

Taha H. (n.d.) *Al-Taujih al-Adabi*. Dar Al-Ma'arif.

Taha A.A. (1999). *An-naqd al-Adabi ind al-Arab Usuluhu wa manaijuhu*. Dar Al-Sa'adah.

Ateeq A.A. (n.d) *Fil-Balaghatil Arabiyah*. Dar Anahada Al-Arabiya.

Adinani M. (1984). *Mu'jamil Aglat Al-lugawiyyahAl-Muaasira*. Maktabat Lubanan.

Muhammad A.H. (1989) *Asrar al-Bayan.* Al—Idaratul-Almarkaziyya lil Mahaid Al Azhariyya, Cairo.

Ullayyan A.A. (1985). *Al Majaz al-Lugawy Dirasatan Balagiyyatn Tahliliyyah*. Dar Alkutub.

Ghanymi m.H. (1982) *An-Naqd al-Adaby al-Hadith*. Dar-Al Aoda.

Muhammad U.A. (1984). *Fi –Adab Al Islam*. Maktabat Jamiatul- Al Islamiyya Tarablis.

Miqdad A.J. (1997). *Adhhwaun al an-Naqdil Adaby Al kadim*. Dar Ammar.

Al-Hashimi S.A. (1999). *Jawahir Al-Adab*. Dar Al-Fikr.

Adekilekun A.L. (2024). *Waraqatun Yaseerat an Ayati Al Katib*.

Ibraheem S. (2000). *Marja' al Tullab fi al-Insha*. Dar Al Koto Al Ilmiyyah.

Shayeb A. (2006). *Usulun –naqd al-Adabi.* Al Nahda Al misriyya.

Al-Fakhoury H. (2005) *Al Jami Fi Tarikh al-Adab al-Arabi*. Dar Al Jeel.